

القسم الديني

﴿ باب الاحاديث النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

تشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون اصل مدينتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه
«الامراء والحكام ونوع الحكومة الاسلامية»

(١) قال صلى الله عليه وسلم : « من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم ان فيهم اولى بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين » . فهل اصراؤنا وعمالنا اعلمنا بالكتاب والسنة

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما احب او كره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة »
افلا يكفر اكثر المسلمين اليوم من يدعوهم الى العمل بهذا الحديث المتفق عليه
(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : لا طاعة لأحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : من ارضى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله

(٥) استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا لكم فاضربوا سيوفكم على عواتقكم ثم ايدوا خضراءهم . أليست هذه سيطرة فعالة للامة على الامراء والحكام ، فمن اين جاءت السلطة المطلقة في الاسلام ؟
أليس ملوك المسلمين اولى بان يماهدوا الامة عند المبايعة على تحكيمها

(١) رواه مسلم وابو داود عن ابن عباس (٢) رواه احمد والشيخان واحباب السنن الأربعة عن ابن عمر (٣) رواه الشيخان وابو داود والنسائي عن علي (٤) الطبراني والحاكم عن عبادة ابن الصامت (٥) رواه الامام احمد عن ثوبان

في دماءهم اذا خالفوا شريعتها من ملوك الانكيز الذين يبيحون لمجلس
الامة دماءهم اذا خالفوا قوانين البلاد وتقاليدها المتبعة ؛ بلى لأن المسلمين
مزمين بالعمل بالشرعية وتقييد السلطة للدين والدنيا معاً بخلاف اولئك

(٦) وقال صلى الله عليه وسلم : اسمعوا هل سمعتم ؟ سيكون بعدي
اصراء (في غير هذه الرواية هنا زيادة يكذبون ويظلمون) فمن دخل عليهم
فصدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد
على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم
فهو مني وانا منه وهو وارد على الحوض

(٧) وقال صلى الله عليه وسلم : « سيكون عليكم ائمة يملكون ارزاقكم
يحدثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيئون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا
قيحهم وتصدقوا كذبهم فاعطوهم الحق ما رضوا به فاذا تجاوزوا فمن قتل
على ذلك فهو شهيد ». فانظروا كيف حكم الامة بالائمة والاصراء وجعلها هي
المعطية وهي المانعة وأمرها بالخروج عليهم اذا لم يرضوا بالحق وعد المقتول
في هذا السبيل شهيداً فهل يقول احد بعد ان نوع الحكومة في الاسلام
غير معروف ؛ الا يجب تربية الامة على الاستقلال لتقيم به هذا الركن

﴿ آثار السلف ، عبرة للخلف ﴾

(الخطبة الاولى للخليفة الاول رضي الله عنه)

لما بويج ابو بكر صعد المنبر فنزل سرقة من مقعد النبي صلى الله
عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أما بعد ايها الناس فقد وليت عليكم

(٦) رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان عن كعب بن عجرة ورواه

غيرهم عنه وعن غيره (٧) رواه الطبراني عن ابي سلاة وله طرق اخرى

ولست بخيركم لو ددت أن قد كفاني هذا الأمر احكم
اعلوا ايها الناس أن اكيس الكيس التقى وان احق الحق الفجور
الا أن الصديق عندي الامانة والكذب الحيانة وان اقوام عندي الضعيف
حتى آخذله بحقه وان أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه انما أنا متبع
ولست بمبتدع فان أحسنت فاعينوني وان زغت فقوموني وحاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا ولا يدع قوم الجهاد الا ضربهم الله بالفقر ولا ظهرت
الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء فاطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت
الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .
وفي رواية قوموا الى صلاتكم^(١)

قوله رضى الله عنه « وان زغت فقوموني » قد اقتدى به عمر بن
الخطاب رضى الله عنه من بعده في عبارته المشهورة « من رأى منك في
عوجاً فليقومه » وعثمان رضى الله عنه في قوله « أمرى لأمركم تبع » وقد
روي عنهم مثل هذا كثيراً وكان يوعظون قولاً وكتابة فيحمدون من
يعظهم ويأمرهم بالخير . على هذا بنيت الخلافة الاسلامية فهدم ركنها
بنو امية وحاولوا جعل السلطة مطلقة أو استبدادية وساعدهم من بعدهم على
ذلك بالتدريج وساعد الملوك بمض الفقهاء فجعل لهم من السلطة والتصرف
المطلق ما لم يجمله لهم الدين . وكان اول من جاهر بالمنع من نصيحة الملك
أو الخليفة جهراً عبد الملك بن مروان فقد قال على المنبر « من قال لي انى
ضربت عنقه » فضعف بهذا امر الشورى وبطلت سيطرة الامة على

(١) ملخص من رواية البيهقي عن الحسن وابن اسحق عن أنس بإسناد قال
ابن كثير انه صحيح . والدينورى عن عبد الله بن عكيم . وفي بعض النسخ اختلاف

اصرائها فاستبدوا وجملوا بأس الامة بينها شديداً وحارب بعضهم بعضاً
لاجل الفتوح والغلب وازالة سلطة وإدالة اخرى منها حتى حل بالمسلمين
ما هم فيه من البلاء المبين

ه الخطبة الاولى للخليفة الثاني رضى الله عنه

عن سعيد ابن المسيب قال : لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها
الناس انى قد علمت انكم كنتم تؤنسون منى شدة وغفلة وذلك انى كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عبده^(١) وخادمه وكان كما قال
الله تعالى « بالؤمنين رؤوف رحيم » فكنت بين يديه كالسيف المسلول الا
أن يقدنى او ينهاني عن امر فأكفّ والا اقدمت على الناس لكان ليـ
فلم ازل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو
عني راض والحمد لله على ذلك وأنا به اسعد . ثم قت ذلك المقام مع ابي
بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد علمتم في كرمه ودعته
ولينه فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدتى بليته الا ان يتقدم
الى فأكفّ والا اقدمت فلم ازل على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض
والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به اسعد

ثم صار امركم الى اليوم وأنا اعلم فسيقول قائل كان يشتد علينا والامر
الى غيره فكيف به اذا صار اليه . واعلموا انكم لا تسألون عني احداً فقد
عرفتموني وجرتموني وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت وما اصبحت نادماً

(١) وقع في هذه الرواية لفظ عبد وهو لم يعهد منهم وان كان مفسراً بالخدام

على شيء أكون أحب أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه إلا وقد سألته . فاعلموا أن شدة تي التي كنتم ترون قد ازدادت أضافاً إذا صار الأمر إلى علي الظالم والمعتدي والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويمهم واني بعد شدتي تلك واطع خدي بالأرض لأهل المقاف والكف منكم والتسليم . واني لا آبي أن كان بيني وبين أحد منكم شيء من أحكامكم إن أمشي معه إلى من أحببتم منكم فلينظر بيني وبينه أحد منكم فاتقوا الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم . ثم نزل^(١)

وعن الحسن قال : إن أول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليت بي وخلصت فيكم بعد صاحبي فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والامانة فمن يحسن زده حسناً ومن يسيء نعاقيه ويفقر الله لنا ولكم^(٢)

فانظروا كيف وطن نفسه على قبول تحكيم من يريدون منهم إذا كان لأحد عليه حق وكيف وطنها على قبول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإذا وفق الله أمراءنا وحكامنا للاهتمام بهديهم والسير على سنتهم فإن الدين يمتز بالخلف كما اعتر بالسلف ونكون من المفلحين . وظاهر أن هذين الخليفين الماديين ماسارا هذه السيرة من أنفسهما وإنما تعلمها من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أدلة ذلك الأحاديث السابقة ومثلها كثير .

(١) رواه أبو حسين بن بشران في فوائده وأبو أحمد الدهقان في الثاني من

حديثه والحاكم واللاكلابي . (٢) رواد ابن سعد والبيهقي . ولعل كل راو ذكر من

الخطبة شيئاً مما حفظه بمناسبة اقتضت ذلك